تأصِيلُ

المختصر في التفسير

سورة الحجرات

تأليف:
نخبة من العلماء

أَصَّلَهُ

لقمان أمين شارباژێری

سنة الطبع

١٤٤٠هـ الموافق ٢٠١٨م

تَأصِيلُ

المختصر في التفسير

سورة الحجرات

تأليف:
نخبة من العلماء

أَصَّلَهُ

لقمان أمين شارباژێری

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: تَقْرِيْرُ أَخْلاَقِ المجْتَمَعِ الإِسْلاَمِي، وَالتَّحْذِيْرُ مِنْ الأَخْلاَقِ السيِّئَةِ.

التَّفْسِيرُ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ أَبْدَأُ قِرَاءَةَ القُرْآنِ(١)، مُسْتَعِيْنًا بِهِ تَعَالَى(٢)، مُتَبَرِّكًا بِذِكْرِ اسْمِهِ(٣). وَقَدْ تَضَمَّنَتِ البَسْمَلَةُ ثَلاَثَةً مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى، وَهِيَ:

١ـ (ٱللَّهِ)؛ أي: المعْبُودِ بِحَقٍّ، وَهُوَ أَخَصُّ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَلاَ يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ.

٢ـ (ٱلرَّحۡمَٰنِ)؛ أي: ذُو الرَّحْمَةِ الوَاسِعَةِ(٤)، فَهُوَ الرَّحْمَنُ بِذَاتِهِ.

٣ـ (ٱلرَّحِيمِ)؛ أي: ذُو الرَّحْمَةِ الوَاصِلَةِ(٥)، فَهُوَ يَرْحَمُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَمِنْهُم المُؤْمِنُونَ مِنْ عِبَادِهِ(٦).

---

(١) كما أمر ربنا ﷻ بذلك، بقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١).

(٢) الاستعانة: هي طلب العون والتوفيق من الله تعالى، أرشدنا ربُّنا ﷻ بأن ندْعُوَهُ بأسمائه الحسنى، كما يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف:١٨٠).

(٣) البركة: هي دوام الخير، وزيادته، وكثرته، وثبوته، وقد قال النبي ﷺ: « الْبَرَكَةُ مِنَ اللهِ »(أخرجه البخاري). فهو مصدرها، وقال ﷺ: « وَبَارِكْ لِيْ فِيْمَا أَعْطَيْتَ »(أخرجه أبو داود، صحيح). ومن أساليب دعاء البركة طلبها باسم الله تعالى، كما قال النبي ﷺ: « فَاجْتَمِعُوا على طَعَامِكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فيه »(أخرجه أبو داود، صحيح).

(٤) لأنّ صيغة (الرَّحْمَنِ) على وزن (فَعْلاَن)، الدالة على كمال الفعل.

(٥) لأنّ صيغة (الرَّحِيْم) عَلى وَزْنِ (فَعِيْلِ) الدالة على دوام الفعل.

(٦) كما قال ﷻ: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٣).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾

١ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ **بالله، واتَّبَعُوا مَا شَرَعَ،** ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ **بقَوْلٍ**(١)**، أو فِعْلٍ**(٢) ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾(٣) **بامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾(٤) **لأَقْوَالِكُمْ**(٥)، ﴿عَلِيمُۢ﴾ **بأَفْعَالِكُمْ**(٦)، **لاَ يَفُوْتُه مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا**(٧).

---

(١) روى الطبري بسند حسن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهَّ وَرَسُولِهِ﴾، يَقُولُ: « لَا تَقُولُوا خِلَافَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ». وعن مجاهد قوله: « لَا تَفْتَاتُوا عَلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ بِشَيْءٍ حَتَّى يَقْضِيَهُ اللهُّ عَلَى لِسَانِهِ ». وعَنْ قَتَادَةَ: « ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَاسًا كَانُوا يَقُولُونَ: لَوْ أُنْزِلَ فِي كَذَا لَوُضِعَ كَذَا وَكَذَا قَالَ: فَكَرِهَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ، وَقَدَّمَ فِيهِ ».

(٢) عن الْحَسَنِ البَصْرِيّ، قَالَ: « أُنَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ذَبَحُوا قَبْلَ صَلَاةِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ، فَأَمَرَهُمْ نَبِيُّ اللهَّ ﷺ أَنْ يُعِيدُوا ذَبْحًا آخَرَ ». وعن ابْنِ زَيْدٍ (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ زَيْدِ بنِ أَسْلَم)، قَالَ: « لَا تَقْطَعُوا الْأَمْرَ دُونَ اللهَّ وَرَسُولِهِ ». قال ابن الخطيب: « والأصحّ أنه إرشاد عام يشتمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل افتِيَاتٍ وتقدُّم واستبدادٍ بالأمر وإقدامٍ على فعلٍ غيرِ ضروري من غير مُشَاوَرةٍ ».

(٣) قال الطبري: « وَخَافُوا اللهَ فِي قَوْلِكُمْ أَنْ تَقُولُوا مَا لَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ بِهِ اللهُ وَلَا رَسُولُهُ ... ».

(٤) وقال أيضاً: « سَمِيعٌ لِمَا تَقُولُونَ، عَلِيمٌ بِمَا تُرِيدُونَ بِقَوْلِكُمْ إِذَا قُلْتُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ضَمَائِرِ صُدُورِكُمْ ».

(٥) كما قال ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة: ٧).

(٦) قال ﷻ: ﴿... وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (يونس: ٦١).

(٧) قال ﷻ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ٧ـ ٨).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ ...﴾

٢ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ **بالله، واتَّبَعُوْا مَا شَرَّعَ، تَأَدَّبُوا مَعَ رَسُوْلِه، وَ**﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ أي: **ولاَ تَجْعَلُوْا أَصْوَاتَكُمْ تَعْلُوْ عَلَى صَوْتِ النّبيِّ ﷺ عِنْدَ مُخَاطَبَتِهِ**(١)، ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ أي: **وَلاَ تُعْلِنُوْا لَهُ باسْمِهَ كَمَا يُنَادِيْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، بَلْ نَادُوْهُ بالنُّبوَّةِ والرِّسَالَةِ بِخِطَابٍ لَيِّنٍ**(٢).

---

(١) قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: كَادَ الخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ (قَالَ نَافِعٌ لاَ أَحْفَظُ اسْمَهُ) [وهو القَعْقَاعُ بنُ معبد بن زرارة] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتَ إِلاَّ خِلاَفِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ...﴾، قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: « فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ ... »(أخرجه البخاري).

قَالَ السَّائِبُ بنُ يَزِيدَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي المَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، قَالَ: ... مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالاَ: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: « لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ لأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ »(أخرجه البخاري).

قال ابن كثير: « وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: يُكْرَهُ رَفْعُ الصَّوْتِ عِنْدَ قبره ﷺ كَمَا كَان يَكْرَهُ فِي حَيَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، لأَنَّهُ مُحْتَرَمٌ حَيًّا وَفِي قَبْرِهِ ». قال الشنقيطي: « وَبِهِ تَعْلَمُ أَنَّ مَا جَرَتْ بِهِ العَادَةُ اليَوْمَ مِن اجْتِمَاعِ النَّاسِ قُرْبَ قَبْرِهِ ﷺ وَهُمْ فِي صَخَبٍ وَلَغَطٍ، وَأَصْوَاتُهُمْ مُرْتَفِعَةٌ ارْتِفَاعًا مُزْعِجًا كُلُّهُ لاَ يَجُوزُ، وَلاَ يَلِيْقُ، وَإِقْرَارُهُمْ عَلَيْه مِنَ المُنْكَرِ ».

(٢) قال ابن كثير: « ثُمَّ نَهَى عَنِ الْجَهْرِ لَهُ بِالْقَوْلِ كَمَا يَجْهَرُ الرَّجُلُ لِمُخَاطِبِهِ مِمَّنْ عَدَاهُ، بَلْ يُخَاطَبُ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَتَعْظِيمٍ، وَلِهَذَا قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ

﴿ ... أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾

﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ **خَوْفَ أَنْ يَبْطُلَ ثَوَابُ أَعْمَالِكُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ**(١) ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ أي: **لاَ تُحِسُّوْنَ بِبُطْلاَنِ ثَوَابِهَا**(٢).

لِبَعْضٍ﴾، كما قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾(النور: ٦٣) ».

عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: « لَا تُنَادُوهُ نِدَاءً، وَلَكِنْ قَوْلًا لَيِّنًا يَا رَسُولَ الله »(أخرجه الطبري).

قال البغوي: « أَمَرَهُمْ أَنْ يُبَجِّلُوهُ وَيُفَخِّمُوهُ وَلَا يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَلَا يُنَادُونَهُ كَمَا يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا». وقال الشنقيطيّ: « وإنما أمروا أن يخاطبوه خطاباً يليق بمقامه ليس كخطاب بعضهم لبعض، كأن يقولوا: يا نبي الله، أو يا رسول الله، ونحو ذلك »(أضواء البيان).

(١) قال ابن جرير: « أَنْ لاَ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ، فَتَذْهَبَ بَاطِلَةً لاَ ثَوَابَ لَكُمْ عَلَيْهَا، وَلاَ جَزَاءَ ... ».

وقال ابن كثير: « أَيْ إِنَّمَا نَهَيْنَاكُمْ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ عِنْدَهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَغْضَبَ مِنْ ذَلِكَ فَيَغْضَبُ اللهُ تَعَالَى لِغَضَبِهِ، فَيُحْبِطَ اللَّهُ عَمَلَ مَنْ أَغْضَبَهُ وَهُوَ لاَ يَدْرِي ».

(٢)عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: « يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ اشْتَكَى؟ » فَقَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ »(أخرجه مسلم).

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: « لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ كَانَ أَبُو بَكْرٍ لاَ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلاَ كَأَخِي السِّرَارِ »(أخرجه الحاكم، هو حسن).

وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: « لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ مَا حَدَّثَ عُمَرُ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ فَيَسْمَعُ النَّبِيُّ ﷺ كلامه حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ مِمَّا يَخْفِضُ صَوْتَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ... » الآية التالية (أخرجه البخاري).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤﴾

٣ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾ أي: **يَخْفِضُوْنَ أَصْوَاتَهُمْ** ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ ﷺ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾، أي: **لِتَقْوَاهُ، وَأَخْلَصَهُمْ لَهَا**(١) ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ **لِذُنُوْبِهِمْ، فَلَا يُؤَاخِذُهُمْ** ﴿وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ **ثَوَابٌ عَظِيْمٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ أَنْ يُدْخِلَهُمُ اللهُ الجَنَّةَ.**

٤ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ ـ **أَيُّهَا الرَّسُوْلُ** ـ **مِنَ الْأَعْرَابِ**(٢) ﴿مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ أي: **حُجُرَاتِ نِسَائِكَ** ﴿أَكۡثَرُهُمۡ﴾ **مُعْظَمُهُمْ** ﴿لَا يَعۡقِلُونَ﴾.

---

(١) فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾، قالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: « أَخْلَصَهَا لِلتَّقْوَى مِنَ الْمَعْصِيَةِ »(زاد المسير)، وقَالَ قَتَادَةَ: « أَخْلَصَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فِيمَا أَحَبَّ »(الطبري). وقال الطبري: « هُمُ الَّذِينَ اخْتَبَرَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِامْتِحَانِهِ إِيَّاهَا، فَاصْطَفَاهَا وَأَخْلَصَهَا لِلتَّقْوَى، يَعْنِي لاتِّقَائِهِ بِأَدَاءِ طَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، كَمَا يُمْتَحَنُ الذَّهَبُ بِالنَّارِ، فَيَخْلُصُ جَيِّدُهَا، وَيَبْطُلُ خَبَثُهَا ».

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد: عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كُتِبَ إِلَى عُمَرَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، رَجُلٌ لاَ يَشْتَهِي الْمَعْصِيَةَ، وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا أَفْضَلُ، أَمْ رَجُلٌ يَشْتَهِي الْمَعْصِيَةَ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا؟ فَكَتَبَ عُمَرُ رضي الله عنه: « إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَهُونَ الْمَعْصِيَةَ وَلاَ يَعْمَلُونَ بِهَا، أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ».

(٢) روى زيدُ بنُ أرقم رضي الله عنه، قَالَ: « اجْتَمَعَ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالُوا: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ يَكُ نَبِيًّا فَنَحْنُ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ يَكُ مَلِكًا نَعِشْ بِجَنَاحِهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بما قالوا، فجاءُوا إلى حُجْرَةِ النَّبِي ﷺ فَجَعَلُوا يُنَادُونَهُ وَهُوَ فِي حُجْرَتِهِ: يَا مُحَمَّدُ .. يا محمد، فأنزل الله تَعَالَى ... » الآية(أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير)، قال السيوطي: « بسند حسن ».

وروى الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ فِي الآية، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « ذَاكَ اللَّهُ تَعَالَى »(صحيح سنن الترمذي).

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾

٥ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي: **أَنَّ هَؤُلاَءِ الذِيْنَ يُنَادُوْنَكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مِن وَرَاءِ حُجُرَاتِ نِسَائِكَ ﴿صَبَرُواْ﴾ فَلَمْ يُنَادُوْكَ ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾، فَيُخَاطِبُوْكَ مَخْفُوضَةً أَصْوَاتُهُم؛ ﴿لَكَانَ﴾ ذَلِكَ ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾**[1] **مِنْ نِدَائِكَ مِن وَرَائِهَا؛ لِمَا فِيْهِ مِنَ التَّوْقِيرِ والتَّعْظِيْمِ، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوْبِ مَنْ تَابَ مِنْهُمْ وَمنْ غَيْرُهُمْ**[2]**، وَغَفُورٌ لَهُمْ لِجَهْلِهِمْ، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِمْ**[3].

مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ:

- تُشْرَعُ الرَّحْمَةُ مَعَ المُؤْمِنِ، والشِّدَّةُ مَعَ الكَافِرِ المُحَارِبِ.
- التَّمَاسُكُ والتَّعَاوُنُ مِنْ أَخْلاَقِ أَصْحَابِهِ ﷺ.
- مَنْ يَجِدُ فِي قَلْبِهِ كُرْهًا لِلصَّحَابَةِ الكِرَامِ يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ.
- وُجُوبُ التَّأَدُّبِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَعَ سُنَّتِهِ، وَمَعَ وَرَثَتِهِ (العُلَمَاءِ)[4].

= قال أبو حيان: « ثم جيء على عقبه بما هو أفظع، وهو الصياح برسول الله ﷺ في حال خلوته ببعض حرمه من وراء الجدار، كما يصاح بأهون الناس، ليلبيه على فظاعة ما جسروا عليه، لأن من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول، كان صنيع هؤلاء معه من المنكر المتفاحش ».

(١) قال ابن جرير: « لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ؛ لأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَهُمْ بِتَوْقِيرِكَ وَتَعْظِيمِكَ، فَهُمْ بِتَرْكِهِمْ نِدَاءَكَ تَارِكُونَ مَا قَدْ نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ ».

(٢) وقال أيضاً: « ذُو عَفْوٍ عَمَّنْ نَادَاكَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ، إِنْ هُوَ تَابَ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ بِنِدَائِكَ كَذَلِكَ، وَرَاجَعَ أَمْرَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ، وَفِي غَيْرِهِ ».

(٣) وقال: « رَحِيْمٌ بِهِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَى ذَنْبِهِ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِهِ مِنْهُ ».

(٤) قال أبو حيان: « ومِنْ هَذاَ وأَمْثَالِهِ تُقْتَبَسُ مَحَاسِنُ الآدابِ؛ كَمَا يُحْكَى عن أَبِي عُبَيْدٍ ـ ومَحَلُّهُ مِن العِلْمِ والزُّهْدِ وثِقَةِ الرِّوَايَةِ مَا لاَ يَخْفَى ـ أَنَّه قَال: مَا دَقَقْتُ باباً عَلَى عَالِمٍ قَطُّ حَتَّى يَخْرُجَ في وَقْتِ خُرُوجِهِ ».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦﴾

٦ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ **بالله، وَعَمِلُوْا بِمَا شَرَّعَ،** ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ﴾[١] ﴿بِنَبَإٍ﴾[٢] أي: **بِخَبَرٍ عَنْ قَوْمٍ،** ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ **فَتَثَبَّتُوْا**[٣] **مِنْ صِحَّةِ خَبَرِهِ، وَلاَ تُبَادِرُوْا إِلَى تَصْدِيْقِهِ؛ خَوْفَ** ﴿أَن تُصِيبُواْ﴾[٤] - **إِذَا صَدَّقْتُمْ خَبَرَهُ دُوْنَ تَثَبُّتٍ** - ﴿قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾[٥] **بِجِنَايَةٍ وَأَنْتُمْ جَاهِلُوْنَ حَقِيْقَةَ أَمْرِهِمْ،** ﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾ أي: **بَعْدَ إِصَابَتِكُمْ لَهُمْ** ﴿نَـٰدِمِينَ﴾ **عِنْدَمَا يَتَبَيَّنُ لَكُمْ كِذْبَ خَبَرِهِ**[٦].

---

(١) قال السمعاني: « الفَاسِقُ هَاهُنَا: هُوَ الكَذَّابُ، وأَمَّا اللُّغَةُ ... : الخَارِجُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ ».

(٢) قال أبو حيان: « وفَاسِق ونَبَأ مُطْلَقَان، فَيَتَنَاوَلُ اللَّفْظُ كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى جِهَةِ البَدَلِ ... وجَاءَ الشَّرْطُ بِحَرْفِ (إِنْ) المقْتَضِي للتَّعْلِيقِ في المكْنِ، لاَ بالحَرْفِ المقْتَضِي للتَّحْقِيقِ، وهُوَ (إذا)؛ لأَنَّ مَجِيءَ الرَّجُلِ الفَاسِقِ للرَّسُوْلِ ﷺ وأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم بالكِذْبِ، إِنَّمَا كَانَ عَلَى سَبِيْلِ النُّدْرَةِ ».

(٣) قال ابن جرير: « بِالْبَاءِ، بِمَعْنَى: أَمْهِلُوا حَتَّى تَعْرِفُوا صِحَّتَهُ، لاَ تَعْجَلُوا بِقَبُوْلِهِ، وَكَذَلِكَ مَعْنَى: فَتَثَبَّتُوا ». وقال السمعاني: « ومَعْنَاهُمَا مُتَقَارِبٌ، وَهُوَ تَرْكُ العَجَلَةِ، والتَدَبُّرُ والتَأَنِّي في الأَمْرِ ».

وقال أبو حيان: « وهُوَ أَمْرٌ يَقْتَضِي أَنْ لاَ يُعْتَمَدَ عَلَى كَلاَمِ الفَاسِقِ، ولاَ يُبْنَى عَلَيْهِ حُكْمٌ ... وأُمِرُوا بالتَّثَبُّتِ عِنْدَ مَجِيْئِهِ لِئَلاَّ يَطْمَعَ في قَبُولِ مَا يُلْقِيهِ إِلَيْهِمْ، ونَبَأ مَا يترتَّبُ عَلَى كَلاَمِهِ، فإِذَا كَانُوا بِمَثَابَةِ التبَيُّنِ والتثبُّتِ، كَفَّ عَنْ مَجِيْئِهِمْ بِمَا يُرِيْدُ ». وقال أيضاً: « ومَفْهُومُ ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ﴾: قَبُولُ كَلاَمِ غَيرِ الفَاسِقِ، وأَنَّهُ لاَ يُتَثَبَّتُ عِنْدَهُ، وقَدْ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى قَبُولِ خَبَرِ الوَاحِدِ العَدْلِ ».

(٤) قال أبو حيان: « أي: كراهَةَ أَنْ تُصِيْبُوا » وقال السَّمْعَاني: « ومَعْنَى الإِصَابَةِ هَاهُنَا: هُوَ الإِصَابَةُ مِنَ الدَّمِ، والمالِ، بالقَتْلِ والأَسْرِ والاغْتِنَامِ ».

(٥) قال أبو حيان: « ﴿بِجَهَـٰلَةٍ﴾ حَالٌ، أي: جَاهِلِينَ بحَقِيقَةِ الأَمْرِ مُعْتَمِدِينَ عَلَى خَبَرِ الفَاسِقِ ».

(٦) **سبب نزول الآية:** عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ، لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدَهُمْ مِمَّا جُمِعَ مِنَ الزَّكَاةِ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ الْخَبَرُ فَرِحُوا،

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ ﴾

٧ـ ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ - **أَيُّهَا الْمُؤْمِنُوْنَ**- ﴿أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ **يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ، فَاحْذَرُوْا أَنْ تُكَذِّبُوْا فَيَنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ يُخْبِرُهُ بِكِذْبِكُمْ**(١)، **وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا فِيْهِ مَصْلَحَتُكُمْ،**

وَخَرَجُوا لِيَتَلَقَّوْا رَسُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا حُدِّثَ الْوَلِيدُ أَنَّهُمْ خَرَجُوا يَتَلَقَّوْنَهُ، فَرِقَ فَرَجَعَ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ قَدْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ، وَأَرَادُوا قَتْلِي، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَضَرَبَ الْبَعْثَ إِلَى الْحَارِثِ، وأَقْبَلَ الْحَارِثُ بِأَصْحَابِهِ، حَتَّى إِذَا اسْتَقْبَلَ الْبَعْثُ وَفَصَلَ مِنَ الْمَدِينَةِ، لَقِيَهُمُ الْحَارِثُ، فَقَالُوا: هَذَا الْحَارِثُ، فَلَمَّا غَشِيَهُمْ قَالَ لَهُمْ: إِلَى مَنْ بُعِثْتُمْ؟ قَالُوا: إِلَيْكَ قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ بَعَثَ إِلَيْكَ الْوَلِيدَ بن عُقْبَةَ، فَرَجَعَ فَزَعَمَ أَنَّكَ مَنَعْتَ الزَّكَاةَ وَأَرَدْتَ قَتْلَهُ، فَقَالَ: لاَ، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ بَتَّةً، وَلاَ أَتَانِي، فَلَمَّا دَخَلَ الْحَارِثُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: « **مَنَعْتَ الزَّكَاةَ وَأَرَدْتَ قَتْلَ رَسُولِي؟** »، قَالَ: لاَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ وَلاَ أَتَانِي، وَمَا أَقْبَلْتُ إِلاَّ حِينَ احْتَبَسَ عَلَيَّ رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّا خَشِينَا أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا رَدَّهُ كِتَابٌ جَاءَهُ مِنْكَ لِغَضَبٍ غَضِبْتَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ عُذْرَهُمْ فِي الْكِتَابِ، فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ... ﴾ الآيات الثلاث(أخرجه أحمد، والبيهقي في الكبرى، وهو حسن).

(١) قال الطبري: « فَاتَّقُوا اللَّهَ أَنْ تَقُولُوا الْبَاطِلَ، وَتَفْتَرُوا الْكَذِبَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُخْبِرُهُ أَخْبَارَكُمْ، وَيُعَرِّفُهُ أَنْبَاءَكُمْ، وَيُقَوِّمُهُ عَلَى الصَّوَابِ فِي أُمُورِهِ ». وقال أبو حيان: « هذا تَوْبيخٌ لمنْ يُكَذِّبُ للرَّسُول ﷺ، ووَعِيْدٌ بالنَّصِيحةِ، ولا يَصْدُرُ ذلِكَ إلاَّ ممنْ هُو شَاكٌّ في الرِّسَالَةِ، لأنَّ اللهَ تَعَالى لاَ يَتْرُكُ نَبيَّهُ ﷺ يَعْتَمِدُ عَلَى خَبَرِ الفَاسِقِ، بَلْ بَيَّنَ لَهُ ذلِكَ. والظَّاهِرُ أنَّ قَوْلَه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ كَلاَمٌ تَامٌّ، أَمَرَهُمْ بأَنْ يَعْلَمُوا أنَّ الذِي هُوَ بَيْنَ ظَهْرَانِيكُمْ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلاَ تُخْبِرُوْهُ بِمَا لاَ يَصِحُّ، فَإِنَّهُ رَسُوْلُ اللهِ يُطْلِعُهُ عَلَى ذَلِكَ ». وقال ابن كثير: « أَيْ اعْلَمُوا أَنَّ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ فَعَظِّمُوهُ وَوَقِّرُوهُ وَتَأَدَّبُوا مَعَهُ وَانْقَادُوا لأَمْرِهِ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِكُمْ وَأَشْفَقُ عَلَيْكُمْ مِنْكُمْ، وَرَأْيُهُ فِيكُمْ أَتَمُّ مِنْ رأيكم لأنفسكم ».

﴿ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾

﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ **مِمَّا تَقْتَرِحُوْنَهُ**(١) ﴿**لَعَنِتُّمۡ**﴾ **لَوَقَعْتُمْ فِي الْمَشَقَّةِ الَّتِي لاَ يَرْضَاهَا لَكُمْ**(٢)، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾ **مِنْ فَضْلِهِ** ﴿حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾

---

(١) قَرَأَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ الآية، قَالَ: « هَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ يُوحَى إِلَيْهِ، وَخِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ لَوْ أَطَاعَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُوا، فَكَيْفَ بِكُمُ الْيَوْمَ ؟»(أخرجه الترمذي، صحيح). وقال قتادة عند هذه الآية: « هَؤُلاَءِ أَصْحَابُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، لَوْ أَطَاعَهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ، فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ أَسْخَفُ رَأْيًا، وَأَطْيَشُ عُقُولاً، اتَّهَمَ رَجُلٌ رَأْيَهُ، وَانْتَصَحَ كِتَابَ اللَّهِ، فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ ثِقَةٌ لِمَنْ أَخَذَ بِهِ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ، وَإِنَّ مَا سِوَى كِتَابِ اللَّهِ تَغْرِيرٌ »(الطبري).

(٢) قال الطبري: « لَنَالَكُمْ عَنَتٌ، يَعْنِي الشِّدَّةَ وَالْمَشَقَّةَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأُمُورِ بِطَاعَتِهِ إِيَّاكُمْ لَوْ أَطَاعَكُمْ لأَنَّهُ كَانَ يُخْطِئُ فِي أَفْعَالِهِ، كَمَا لَوْ قَبِلَ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ قَوْلَهُ فِي بَنِي الْمُصْطَلِقِ: إِنَّهُمْ قَدِ ارْتَدُّوا، وَمَنَعُوا الصَّدَقَةَ، وَجَمَعُوا الْجُمُوعَ لِغَزْوِ الْمُسْلِمِينَ، فَغَزَاهُمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ، وَأَصَابَ مِنْ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ كَانَ قَدْ قَتَلَ، وَقَتَلْتُمْ مَنْ لاَ يَحِلُّ لَهُ وَلاَ لَكُمْ قَتْلُهُ، وَأَخَذَ وَأَخَذْتُمْ مِنَ الْمَالِ مَا لاَ يَحِلُّ لَهُ وَلَكُمْ أَخْذُهُ مِنْ أَمْوَالِ قَوْمٍ مُسْلِمِيْنَ، فَنَالَكُمْ مِنَ اللَّهِ بِذَلِكَ عَنَتٌ ». وقال أبو حيان: « وهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَ المؤْمِنِينَ زَيَّنُوا لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ الإِيْقَاعَ ببَنِي المصْطَلَقِ، وتَصْدِيْقَ قَوْلِ الوَلِيدِ ». قال الشيخ ابن العثيمين: « وكأن بعض الصحابة ﷺ أرادوا من النّبيِّ ﷺ أن يُعاقب هؤلاء الذين بلغه عنهم ما بلغه، ولكن النبي ﷺ لم يفعل بعد أن نزلت عليه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ ... ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾ أي: لشق عليكم ما تطلبونه من الرسول ﷺ، وهذا له أمثلة كثيرة منها: أن النبي ﷺ قام بأصحابه في رمضان يصلي بهم صلاة القيام فانصرفوا وقد بقي من الليل ما بقي، وقالوا: يا رسول الله، لو نفلتنا بقية ليلتنا – يعني طلبوا منه أن يقوم بهم كل الليل – ولكنه ﷺ قال لهم: « مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ »(أخرجه أبو داود والترمذي، صحيح) ولم يوافقهم على طلبهم، لما في ذلك من العنت والمشقة ».

﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾

﴿وَزَيَّنَهُۥ﴾ **وَحَسَّنَهُ**(١) **﴿فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ فَآمَنْتُمْ**(٢)، **﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ﴾**(٣) **والخُرُوْجَ عَنْ طَاعَتِهِ، ﴿وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾ وَكَرّهَ إِلَيْكُمْ مَعْصِيَتَهُ**(٤)،

---

(١) قال السمعاني: « حتّى قَبِلوه وآثَرُوه على طريق غيره، وطبع الآدمي مجبول على اختيار ما زين في قلبه ». وقال ابن العثيمين: « بحيث لا تتركونه بعد أن تقوموا به؛ وذلك أن فعل الإنسان الشيء للمحبة قد يكون محبّةً عارضةً، لكن إذا زُيّنَ له الشيءُ ثبتَ في المحبّة ودامتْ ».

(٢) قال الطبري: « ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَأَنْتُمْ تُطِيعُونَ رَسُولَ اللَّهِ، وَتَأْتَمُّونَ بِهِ فَيَقِيكُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ مِنَ الْعَنَتِ مَا لَوْ لَمْ تُطِيعُوهُ وَتَتَّبِعُوهُ وَكَانَ يُطِيعُكُمْ لَنَالَكُمْ وَأَصَابَكُمْ». وقال ابن العثيمين: « قد يقول قائل: ما هو ارتباط قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ بقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ ؟ والجواب: أنكم تطيعونه - أي الرسول عليه الصلاة والسلام - فيما يخالفكم فيه؛ لأن الله حبَّب إليكم الإيمان فتقدمون طاعة النبي ﷺ فيما يخالفكم فيه؛ لأن الله حبَّب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم، وهذا استدراك من أبلغ الاستدراك، يعني: ولكن إذا خالفكم النبي ﷺ في كثير من الأمر الذي تريدونه فإنكم لن تكرهوا ذلك، ولن تخالفوه، ولن تحملوا على الرسول ﷺ بسببه ».

(٣) قال الطبري: « ﴿وَٱلۡفُسُوقَ﴾ يَعْنِي الْكَذِبَ ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾ يَعْنِي رُكُوبَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَضْيِيعِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ».

(٤) قال ابن العثيمين: « كرّه إليكم الكفر الذي هو مقابل الإيمان، والفسوق الذي هو مقابل الاستقامة، والعصيان الذي هو مقابل الإذعان، وهذا تدرج من الأعلى إلى ما دون ... فالكفر هو الخروج من الإسلام بالكلية ... وأما الفسق فهو دون الكفر، لكنه فعل كبيرة، مثل أن يفعل الإنسان كبيرة من الكبائر ولم يتب منها، كالزنا، وشرب الخمر، والسرقة، والقذف، وما أشبه ذلك، والعصيان: هو الصغائر التي تكفَّر بالأعمال الصالحة ».

﴿ ... أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨ ﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المتَّصِفُوْنَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ﴿هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ السَّالِكُوْنَ طَرِيْقَ الرُّشْدِ والصَّوَابِ[1].

٨ـ وَمَا حَصَلَ لَكُمْ – مِنْ تَحْسِيْنِ الخَيْرِ فِي قُلُوْبِكُمْ، وَتَكْرِيْهِ الشَّرِّ[2] – ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ إِنَّمَا هُوَ فَضْلٌ مِنَ اللهِ، تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْكُمْ، ﴿وَنِعۡمَةٗ﴾ أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَنْ يَشْكُرُهُ مِنْ عِبَادِهِ فَيُوَفِّقُهُ، و﴿حَكِيمٞ﴾ إِذْ يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَحَلِّهِ المُنَاسِبِ لَهُ[3].

---

(١) قال الطبري: « السَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ ». وقال الشوكاني: « والرُّشْدُ الاسْتِقَامَةُ عَلَى طَرِيقِ الحَقِّ مَعَ تَصَلُّبٍ، من الرَّشَادَةِ وهيَ الصَّخْرَةُ ». وقال ابن السعدي: « أي: الذين صلحت علومهم وأعمالهم، واستقاموا على الدين القويم، والصراط المستقيم. وضدهم الغاوون، الذين حبب إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وكره إليهم الإيمان ». وقال ابن العثيمين: « يعني: الذين سلكوا طريق الرشد، والرشد في الأصل: حسن التصرف، وهو في كل موضع بحسبه، فالرشد في المال أن يحسن الإنسان التصرف فيه، ولا يبذله في غير فائدة، والرشد في الدين: هو الاستقامة على دين الله ﷻ ».

(٢) قال الطبري: «وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي عَدَّهَا فَضْلاً مِنْهُ، وَإِحْسَانًا وَنِعْمَةً مِنْهُ أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ ».

وقال ابن العثيمين: « فهؤلاء الذين حبَّب الله إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان هم الراشدون، وهنا تجد هذه الأفعال كلها مضافة إلى الله، ولهذا قال بعدها: ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني: أن الله أفضل عليكم فضلاً، وليس بكسبكم، ولكي يُعلم أنّ الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم حيث يجعل الإيمان في الشخص، فمن علم الله منه حُسن النية والقصد والإخلاص حبَّب إليه الإيمان وزيَّنه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، ومن لم يعلم الله منه ذلك فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ ... فالذنوب سبب للمخالفة والعصيان ».

(٣) قال ابن كثير: « أَيْ: عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْغَوَايَةَ، حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرْعِهِ وقدره ».

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ...﴾

٩- ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾[١] **فِرْقَتانِ**[٢] ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٣] ﴿ٱقۡتَتَلُواْ﴾ **تَقَاتَلَتا** ﴿فَأَصۡلِحُواْ﴾ **أَيُّهَا المؤْمِنُوْنَ** ﴿بَيۡنَهُمَا﴾ **بِدَعْوَتِهِمَا إلى تَحْكِيْمِ شَرْعِ اللهِ فِي خِلافِهِمَا**[٤]،

---

(١) سبب نزول الآية: عن أَنَسٍ رضي الله عنه قال قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لو أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بن أُبَيٍّ، فَانْطَلَقَ إليه النبي ﷺ، وَرَكِبَ حِمَارًا، فَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ، وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ، فلَمَّا أَتَاهُ النبيُّ ﷺ قال: إِلَيْكَ عَنِّي واللهِ لقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ، فقال رَجُلٌ من الأَنْصَارِ مِنْهُمْ: والله لَحِمَارُ رسول اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ من قَوْمِهِ فَشَتَمَهُ، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالأَيْدِي وَالنِّعَالِ، فَبَلَغَنَا أنها أُنْزِلَتْ ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ (أخرجه البخاري). قال السمعاني: « وإنما سمى الله تعالى ذلك مقاتلة؛ لأن الجري عليه يؤدي إلى القتل ». وقال أبو بكر الجزائري: « ما زال السياق الكريم في طلب تأديب المسلمين وتربيتهم وإعدادهم للكمال الدنيوي والأخروي ... يرشد الله تعالى المسلمين إلى كيفية علاج مشكلة النزاع المسلح بين المسلمين ».

(٢) وقال أيضاً: « أي: جماعتان، قل أفرادهما، أو كثروا من المسلمين ». قال مجاهد: « الطَّائِفَةُ اسْمٌ لِلوَاحِدِ إلى أَلْفٍ وَأَكْثَر »(ذكره السمعاني).

(٣) قال ابن كثير: « فَسَمَّاهُمْ مُؤْمِنِينَ مَعَ الِاقْتِتَالِ، وَبِهَذَا اسْتَدَلَّ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْمَعْصِيَةِ وَإِنْ عَظُمَتْ، لَا كَمَا يَقُولُهُ الْخَوَارِجُ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَنَحْوِهِمْ».

(٤) قال ابن جرير: « فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ إِذَا اقْتَتَلَتْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوهُمَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَيُنْصِفُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِنْ أَجَابُوا حَكَمَ فِيهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، حَتَّى يُنْصِفَ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ، فَمَنْ أَبَى مِنْهُمْ أَنْ يُجِيبَ فَهُوَ بَاغٍ، فَحَقٌّ عَلَى إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُجَاهِدَهُمْ وَيُقَاتِلَهُمْ، حَتَّى يَفِيئُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَيُقِرُّوا بِحُكْمِ اللَّهِ ».

وقال ابن الجوزي: « وقال الحسن، وقتادة، والسدي: فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بالدعاء إلى حكم كتاب الله ﷻ والرضى بما فيه لهما وعليهما ».

﴿ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ ﴾

﴿ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا ﴾ أي: **أَبَتْ إِحْدَاهُمَا الصُّلْحَ واعْتَدَتْ**(١) ﴿ عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي ﴾ أي: **الْمُعْتَدِيَةَ** ﴿ حَتَّىٰ تَفِيٓءَ ﴾ **تَرْجِعَ** ﴿ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ **حُكْمِ الله**(٢)، ﴿ فَإِن فَآءَتۡ ﴾ **رَجَعَتْ إِلى حُكْمِ الله**(٣) ﴿ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ **وَالإِنْصَافِ،** ﴿ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ ﴾ **وَاعْدِلُوْا فِي حُكْمِكُمْ بَيْنَهُمَا**(٤)، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ **العَادِلِيْنَ فِي حُكْمِهِمْ**(٥).

---

(١) وقال أيضاً: « طَلَبَتْ مَا لَيْسَ لَهَا وَلَمْ تَرْجِعْ إلى الصُّلْحِ ».

(٢) قال ابن جرير: « فَمَنْ أَبَى مِنْهُمْ أَنْ يُجِيبَ فَهُوَ بَاغٍ، فَحَقٌّ عَلَى إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُجَاهِدَهُمْ وَيُقَاتِلَهُمْ، حَتَّى يَفِيئُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَيُقِرُّوا بِحُكْمِ اللَّهِ ».

وقال أبو حيان: « وكل واحد من الطائفتين باغ، فالواجب السعي بينهما بالصلح، فإن لم تصطلحا وأقامتا على البغي قوتلتا، أو لشبهة دخلت عليهما، وكل منهما يعتقد أنه على الحق فالواجب إزالة الشبة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة، فإن لجا، فكالباغيتين ».

وقال السمعاني: « فإن امتنعت إحدى الطائفتين عن قبول الحق [ردها الإمام] إلى الحق أولا بالكلام، ثم يترقى درجة درجة إلى أن يبلغ القتال ».

(٣) وقال أيضاً: « ومعناه: انْقَادَتْ لِلْحَقِّ ».

(٤) وقال أيضاً: « وَاعْدِلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي حُكْمِكُمْ بَيْنَ مَنْ حَكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِأَنْ لاَ تَتَجَاوَزُوا فِي أَحْكَامِكُمْ حُكْمَ اللَّهِ وَحُكْمَ رَسُولِهِ ».

(٥) عَنْ ابْنِ عَمْرٍ رضي الله عنهما قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عز وجل وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا »(أخرجه مسلم).

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

١٠ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ **في الإِسْلاَمِ**(١)، **والأُخُوَةُ في الإِسْلاَمِ تَقْتَضِيْ أَنْ تُصْلِحُوْا - أَيُّهَا المؤْمِنُوْنَ - بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ **المتَنَازِعَيْنِ**(٢)، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ **بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ واجْتِنَابِ نَوَاهِيْهِ**(٣) ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ **رَجَاءَ أَنْ تُرْحَمُوْا**(٤).

---

(١) قال ابن كثير: « أي: الجَمِيْعُ إخْوَةٌ في الدِّيْنِ ».

وقال السمعاني: « أي: في التَّوَالِي والتَّعَاضُدِ والتَّرَاحُمِ، وهُوَ في مَعْنَى قَوْلِه تَعَالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾». وقوله ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى »(أخرجه مسلم).

(٢) قال ابن جرير: « إِذَا اقْتَتَلاَ بِأَنْ تَحْمِلُوهُمَا عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ؛ وَمَعْنَى الأَخَوَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: كُلُّ مُقْتَتِلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ ».

وقال ابن حيان: « مثنى، لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان، فإذا كان الإصلاح لازما بين اثنين، فهو ألزم بين أكثر من اثنين ».

(٣) وقال أيضاً: « وَخَافُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ عَلَيْكُمْ فِي الإِصْلاَحِ بَيْنَ الْمُقْتَتِلِينَ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ بِالْعَدْلِ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ ».

(٤) قال الشوكاني: « بسبب التقوى، والترجي باعتبار المخاطبين، أي: راجين أن ترحموا. وفي هذه الآية دليل على قتال الفئة الباغية إذا تقرر بغيها على الإمام، أو على أحد من المسلمين، وعلى فساد قول من قال بعدم الجواز مستدلا بقوله ﷺ: (قتال المسلم كفر) فإن المراد بهذا الحديث وما ورد في معناه قتال المسلم الذي لم يبغ. قال ابن جرير: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين فريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل لما أقيم حق، ولا أبطل باطل ولوجد أهل النفاق والفجور سبباً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبي نسائهم، وسفك دمائهم بأن يتحزبوا عليهم، ولكف المسلمين أيديهم عنهم، وذلك مخالف لقوله ﷺ: (خُذُوْا عَلَى أَيْدِي سُفَهَائِكُمْ) ».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ ...﴾

١١ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ **بِالله، وَعَمِلُوْا بِمَا شَرَّعَ**[١]، ﴿لَا يَسۡخَرۡ﴾ **لاَ يَسْتَهْزِيْء**[٢] ﴿قَوۡمٞ﴾ **مِنْكُمْ**[٣] ﴿مِّن قَوۡمٍ﴾ أي: **بِقَوْمٍ**، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ﴾ أي: **الْمُسْتَهْزَأُ بِهِمْ** ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ **عِنْدَ الله، وَالعِبْرَةُ بِمَا عِنْدَ الله**[٤]، ﴿وَلَا﴾ **يَسْتَهْزِيْء** ﴿نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ﴾ أي: **الْمُسْتَهْزَأُ بِهِنَّ** ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ﴾ **عِنْدَ الله،**

---

(١) قال ابن حيان: « هذه الآية والتي بعدها تأديب للأمة، لما كان فيه أهل الجاهلية من هذه الأوصاف الذميمة التي وقع النهي عنها ».

(٢) قال السمعاني: « السخرية: هو الاستهزاء والبطر، يعني: المهانة والاحتقار ». وقال ابن عادل: « والسخرية: هو أن لا ينظر الإنسان إلى أخيه بعين الإجلال، ولا يلتفت إليه ويُسْقطه عن درجته ». وقال السيد طنطاوي: « وهي احتقار الشخص لغيره بالقول أو بالفعل، يقال: (سخر فلان من فلان)، إذا استهزأ به، وجعله مثار الضحك ».

(٣) قال الماوردي: « أما القوم فهم الرِّجال خاصة، لذلك ذكر بعدهم النساء. ويسمى الرجال قوماً لقيام بعضهم مع بعض في الأمور، ولأنهم يقومون بالأمور دون النساء، ومنه قول الشاعر:

وَمَا أَدْرِيْ وَسوْفَ إِخَالُ أَدْرِيْ ... أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ ».

(٤) قال ابن جرير: « وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي السُّخْرِيَةِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الآيَةِ ... فَقَالَ مُجاهِد: لاَ يَهْزَأْ قَوْمٌ بِقَوْمٍ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلٌ فَقِيرٌ غَنِيًّا، أَوْ فَقِيرًا، وَإِنْ تَفَضَّلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ فَلاَ يَسْتَهْزِئْ بِهِ. وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: رُبَّمَا عَثَرَ عَلَى الْمَرْءِ عِنْدَ خَطِيئَتَهُ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ ظَهْرٌ عَلَى عَثْرَتَهُ هَذِهِ، وَسَتَرْتَ أَنْتَ عَلَى عَثْرَتِكَ، لَعَلَّ هَذِهِ الَّتِي ظَهَرَتْ خَيْرٌ لَهُ فِي الآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ، وَهَذِهِ الَّتِي سَتَرْتَ أَنْتَ عَلَيْهَا شَرٌّ لَكَ، مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ مَا يَغْفِرُ لَكَ ». ثمّ قال: « وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَمَّ بِنَهْيِهِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يَسْخَرَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ جَمِيعُ مَعَانِي السُّخْرِيَةِ، فَلاَ يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَسْخَرَ مِنْ مُؤْمِنٍ لاَ لِفَقْرِهِ، وَلاَ لِذَنْبٍ رَكِبَهُ، وَلاَ لِغَيْرِ ذَلِكَ ».

﴿... وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ ...﴾

﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: **وَلاَ تَعِيْبُوْا إِخْوَتَكُمْ**(١) **فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَنْفُسِكُمْ**(٢)، ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ أي: **وَلاَ يُعَيِّرْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِلَقَبٍ يُكْرِهُهُ**(٣)،

---

(١) قال ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: « وَلاَ يَطْعَنُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ »(ابن كثير).

(٢) قال الطبري: « فَجَعَلَ اللاَّمِزَ أَخَاهُ لاَمِزًا نَفْسَهُ، لأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ فِيمَا يَلْزَمُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِنْ تَحْسِينِ أَمْرِهِ، وَطَلَبِ صَلاَحِهِ، وَمَحَبَّتِهِ الْخَيْرَ، وَلِذَلِكَ رُوِيَ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (الْمُؤْمِنُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ فَإِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ)، وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿... وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾(النساء: ٢٩) بِمَعْنَى: وَلاَ يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ».

(٣) وقال أيضاً: « وَلاَ تَدَاعَوْا بِالأَلْقَابِ؛ وَالنَّبَزُ وَاللَّقَبُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ ... قَالَ ابن عباس رضي الله عنهما: (التَّنَابُزُ بِالأَلْقَابِ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ عَمِلَ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابَ مِنْهَا، وَرَاجَعَ الْحَقَّ، فَنَهَى اللَّهُ أَنْ يُعَيَّرَ بِمَا سَلَفَ مِنْ عَمَلِهِ)، وقال مجاهد وعكرمة: (هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ: يَا فَاسِقُ، يَا مُنَافِقُ)، وقال قتادة: (يَقُولُ لِلرَّجُلِ: لاَ تَقُلْ لأَخِيكَ الْمُسْلِمِ: ذَاكَ فَاسِقٌ، ذَاكَ مُنَافِقٌ ...) ». وقال السمعاني: « قال مجاهد والحسن: هو أن يقول لمن أسلم: يا يهودي، يا نصراني تعييرا بما كان عليه من قبل ».

ثمّ قال الطبري: « وَالَّذِي هُوَ أَوْلَى الأَقْوَالِ ... أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ نَهَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ، وَالتَّنَابُزُ بِالأَلْقَابِ: هُوَ دُعَاءُ الْمَرْءِ صَاحِبَهُ بِمَا يَكْرَهُهُ مِنَ اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ، وَعَمَّ اللَّهُ بِنَهْيِهِ ذَلِكَ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِهِ بَعْضَ الأَلْقَابِ دُونَ بَعْضٍ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْبُزَ أَخَاهُ بِاسْمٍ يَكْرَهُهُ أَوْ صِفَةٍ يَكْرَهُهَا وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ صَحَّتِ الأَقْوَالُ الَّتِي قَالَهَا أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ ... ».

وقال السمعاني: « ومعنى النبز هاهنا: هو اللقب المكروه الذي يكره الإنسان أن يدعى به ».

وقال ابن كثير: « وَالْهَمَّازُ اللَّمَّازُ مِنَ الرِّجَالِ مَذْمُومٌ مَلْعُونٌ، كَمَا قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ والهَمْزُ بالفِعْلِ واللَّمْزُ بالقَوْلِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾، أَيْ يَحْتَقِرُ النَّاسَ وَيَهْمِزُهُمْ طَاعِنًا عَلَيْهِمْ، وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ بِالنَّمِيمَةِ وَهِيَ اللَّمْزُ بِالْمَقَالِ ».

﴿... بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ ...﴾

كَمَا كَانَ حَالُ بَعْضِ الأَنْصَارِ قَبْلَ مَجِيْءِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ(١) ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ أي: **وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَهُوَ فَاسِقٌ**(٢)، **بِئْسَتِ الصِّفَةُ صِفَةُ الفِسْقِ بَعْدَ الإِيْمَانِ**(٣)،

---

(١) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: « حَدَّثَنِي أَبُو جُبَيْرَةَ بْنُ الضَّحَّاكِ، قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ فِي بَنِي سَلِمَةَ وَلا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ فِينَا رَجُلٌ إِلاَّ وَلَهُ اسْمَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ، فَكَانَ إِذَا دُعِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِاسْمٍ مِنْ تِلْكَ الأَسْمَاءِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾»(أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، صحيح).

قال أبو حيان: « اللَّقَبُ إن دلَّ على ما يَكْرَهُه المدعُو به، كان مَنْهياً، وأما إذا كان حسناً، فلا ينهى عنه. وما زالت الألقاب الحسنة في الأمم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير ... قيل: وليس من هذا قول المحدثين: سليمان الأعمش، وواصل الأحدب ونحوه مما تدعو الضرورة إليه، وليس فيه قصد استخفاف ولا أذى ».

(٢) قال الطبري: « أي: وَمَنْ فَعَلَ مَا نَهَيْنَا عَنْهُ، وَتَقَدَّمَ عَلَى مَعْصِيَتِنَا بَعْدَ إِيمَانِهِ، فَسَخِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمَزَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ، وَنَبَزَهُ بِالأَلْقَابِ، فَهُوَ فَاسِقٌ ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ يَقُولُ: فَلاَ تَفْعَلُوا فَتَسْتَحِقُّوا إِنْ فَعَلْتُمُوهُ أَنْ تُسَمَّوْا فُسَّاقًا، بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ ». وقال أبو حيان: « أي بئس اسم تنسبونه بعصيانكم نبزكم بالألقاب، فتكونون فساقا بالمعصية بعد إيمانكم، أو بئس ما يقوله الرجل لأخيه: يا فاسق بعد إيمانه ».

(٣) قال ابن كثير: « أَيْ بِئْسَ الصِّفَةُ وَالاسْمُ الْفُسُوقُ؛ وَهُوَ التَّنَابُزُ بِالأَلْقَابِ كَمَا كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَتَنَاعَتُونَ بَعْدَ مَا دَخَلْتُمْ فِي الإِسْلاَمِ وَعَقَلْتُمُوهُ ». وقال الشوكاني: « والاسم هنا بمعنى الذكر ». وقال السيد طنطاوي: « أى: بئس الفعل فعلكم أن تذكروا إخوانكم في العقيدة بما يكرهونه وبما يخرجهم عن صفات المؤمنين الصادقين، بعد أن هداهم الله تعالى وهداكم إلى الإيمان ».

﴿ ... وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾

﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ﴾ **مِنْ هَذِهِ المعَاصِي** ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ **لِأَنْفُسِهِمْ بِإِيْرَادِهَا مَوَارِدَ الهَلاَكِ بِسَبَبِ مَا فَعَلُوْهُ مِنَ المَعَاصِي**(١).

مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ:

- **وُجُوْبُ التَّثَبُّتِ مِنْ صِحَّةِ الأَخْبَارِ، خَاصَّةً الَّتِي يَنْقُلُهَا مَنْ يُتَّهَمُ بِالفِسْقِ.**
- **وُجُوْبُ الإِصْلاَحِ بَيْنَ مَنْ يَتَقَاتَلُ مِنَ المسْلِمِيْنَ، وَمَشْرُوْعِيَةُ قِتَالِ الطَّائِفَةِ الَّتِي تُصِرُّ عَلَى الاعْتِدَاءِ وَتَرْفُضُ الصُّلْحَ.**
- **مِنْ حُقُوْقِ الأُخُوَّةِ الإِيْمَانِيَّةِ: الصُّلْحُ بَيْنَ المتَنَازِعَيْنِ وَالبُعْدِ عَمَّا يَجْرَحُ المشَاعِرَ مِنَ السُّخْرِيَّةِ وَالْعَيْبِ وَالتَّنَابُزِ بِالأَلْقَابِ.**

---

(١) وقال الطبري: « وَمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْ نَبْزِهِ أَخَاهُ بِمَا نَهَى اللَّهُ عَنْ نَبْزِهِ بِهِ مِنَ الأَلْقَابِ، أَوْ لَمْزِهِ إِيَّاهُ، أَوْ سُخْرِيَتِهِ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَأَكْسَبُوهَا عِقَابَ اللَّهِ بِرُكُوبِهِمْ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ ».

وقال السمعاني: « أي: من لم يتب عن هذه الأشياء التي كانوا يفعلونها في الجاهلية ».

وقال الشوكاني: « ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ﴾ عما نهى الله عنه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لارتكابهم ما نهى الله عنه وامتناعهم من التوبة، فظلموا من لقبوه، وظَلَمَهُم أنفُسُهم بما لزمها من الإثم ».

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ...﴾

١٢ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ **بِالله، وَعَمِلُوْا بِمَا شَرَّعَ**، ﴿ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ **ابْتَعِدُوْا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ التُّهَمِ**(١) **الَّتِي لاَ تَسْتَنِدُّ لِمَا يُوْجِبُهَا مِنْ أَسْبَابٍ وَقَرَائِنَ**(٢)، ﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾(٣)،

---

(١) قال الطبري: « لاَ تَقْرَبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ أَنْ تَظُنُّوا بِهِمْ سُوءًا، فَإِنَّ الظَّانَّ غَيْرُ مُحِقٍّ، ... وَلَمْ يَقُلِ: الظَّنَّ كُلَّهُ، إِذْ كَانَ قَدْ أَذِنَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَظُنَّ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ الْخَيْرَ، فَقَالَ: ﴿ لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾(النور:١٢) ». ونقلَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَوْلَهُ: « نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنَ أَنْ يَظُنَّ بِالْمُؤْمِنِ شَرًّا ». وقال ابن كثير: « يَقُولُ تَعَالَى نَاهِيًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الظَّنِّ، وَهُوَ التُّهْمَةُ وَالتَّخَوُّنُ لِلأَهْلِ وَالأَقَارِبِ وَالنَّاسِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ؛ لأَنَّ بَعْضَ ذَلِكَ يَكُونُ إِثْمًا مَحْضًا، فَلْيُجْتَنَبْ كَثِيرٌ مِنْهُ احْتِيَاطًا، وَرُوِّينَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: وَلاَ تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ إِلاَّ خَيْرًا، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلاً ». وقال أبو حيان: « أي لا تعملوا على حسبه، وأمر تعالى باجتنابه، لئلا يجتريء أحد على ظنٍّ إلا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقِّه وباطله ».

(٢) قال أبو حيان: « وتمييز المجتنب من غيره أنه لا يعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر، كمن يتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث، كالدخول والخروج إلى حانات الخمر، وصحبة نساء المغاني، وإدمان النظر إلى المرد؛ فمثل هذا يقوي الظن فيه أنه ليس من أهل الصلاح، ولا إثم فيه، وإن كنا لا نراه يشرب الخمر، ولا يزني، ولا يعبث بالشبان، بخلاف من ظاهره الصلاح فلا يظن به السوء ... والإثم: الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ». وقال الشوكاني: « الظنُّ هنا: هو مجرد التهمة التي لا سبب لها، كمن يتَّهم غيره بشيء من الفواحش ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك ».

(٣) قال الشوكاني أيضاً: « وجملة ﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ تعليل لما قبلها من الأمر باجتناب كثير من الظن، وهذا البعض هو ظن السوء بأهل الخير ... ومما يدل على تقييد هذا الظن المأمور باجتنابه بظن السوء قوله تعالى: ﴿ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ ».

﴿... وَلَا تَجَسَّسُواْ ...﴾

كَسُوْءِ الظَّنِ بِمَنْ ظَاهِرُهُ الصَّلاَحُ(١) ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ **وَلاَ تَتَّبِعُوْا عَوْرَاتِ المؤْمِنِيْنَ مِنْ وَرَائِهِمْ**(٢)،

---

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فإن الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديث، ولاَ تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ... » (أخرجه البخاري ومسلم). ونقل الترمذي عن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قوله: « الظَّنُّ ظَنَّانِ: فَظَنٌّ إِثْمٌ، وَظَنٌّ لَيْسَ بِإِثْمٍ، فَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِى هُوَ إِثْمٌ فَالَّذِى يَظُنُّ ظَنًّا وَيَتَكَلَّمُ بِهِ، وَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِى لَيْسَ بِإِثْمٍ فَالَّذِى يَظُنُّ وَلاَ يَتَكَلَّمُ بِهِ ». وقال الطبري: « إِنَّ ظَنَّ الْمُؤْمِنِ بِالْمُؤْمِنِ الشَّرَّ لاَ الْخَيْرَ إِثْمٌ، لأَنَّ اللَّهَ قَدْ نَهَاهُ عَنْهُ، فَفِعْلُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ إِثْمٌ »، وقال السمعاني: « واعلم أن الظَنَّ المنهي عنه هو ظَنُّ السوء بأهل الخير، فأما بأهل الشرِّ فجائز ». وقال الشوكاني: « وحكى القرطبي عن أكثر العلماء: أن الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز، وأنه لا حرج في الظن القبيح بمن ظاهره القبيح ».

(٢) قال الطبري: « وَلاَ يَتَتَبَّعْ بَعْضُكُمْ عَوْرَةَ بَعْضٍ، وَلاَ يَبْحَثْ عَنْ سَرَائِرِهِ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ الظُّهُورَ عَلَى عُيُوبِهِ، وَلَكِنِ اقْنَعُوا بِمَا ظَهَرَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِهِ، وَبِهِ فَاحْمِدُوا أَوْ ذِمُّوا، لاَ عَلَى مَا لاَ تَعْلَمُونَهُ مِنْ سَرَائِرِهِ ». ونقل عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَوْلَهُ: « نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنَ أَنْ يَتَتَبَّعَ عَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِ ». وعَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلَهُ: « خُذُوا مَا ظَهَرَ لَكُمْ وَدَعُوا مَا سَتَرَ اللَّهُ ». وعَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: « هَلْ تَدْرُونَ مَا التَّجَسُّسُ أَوِ التَّجْسِيسُ؟ هُوَ أَنْ تَتَّبِعَ، أَوْ تَبْتَغِيَ عَيْبَ أَخِيكَ لِتَطَّلِعَ عَلَى سِرِّهِ ». وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي معنى التجسس: « حَتَّى أَنْظُرَ فِي ذَلِكَ وَأَسْأَلَ عَنْهُ، حَتَّى أَعْرِفَ حَقٌّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ ... فَسَمَّاهُ اللَّهُ تَجَسُّسًا؛ يَتَجَسَّسُ كَمَا يَتَجَسَّسُ الْكِلاَبُ ». وقال السمعاني: « واختلفوا في التجسس والتحسس، منهم من قال: هما واحد، ومنهم من فرق، وقال: التجسُّس: هو البحث عن عورات الناس. والتحسُّس: هو الاستماع إلى حديث القوم. وفي بعض الآثار أن عمر ﷺ خرج ومعه عبد الرحمن بن عوف يعس ليلة، فمرّا بدار وسمعا منها لغظا وأصواتا، فقال عمر: أرى أنَّهم يشربون الخمر [ماذا نفعل؟] فقال عبد الرحمن بن عوف: أرى أنا أتينا ما نهينا عنه يعني: التجسس ورجع. وفي أثر آخر أنه قيل لابن مسعود: هل لك في الوليد بن عقبه ولحيته تقطر خمراً وكان الوليد أمير الكوفة، وابن مسود فقيهها، فقال: إنا نهينا عن التجسُّس ».

﴿... وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ...﴾

﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ وَلاَ يَذْكُرْ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ بِمَا يَكْرَهُ[1]، فَإِنَّ ذِكْرَهُ بِمَا يَكْرَهُ مِثْلُ أَكْلِ لَحمِهِ مَيْتًا،

وقال ابن كثير: « وَالتَّجَسُّسُ غَالِبًا يُطْلَقُ فِي الشَّرِّ وَمِنْهُ الْجَاسُوسُ. وَأَمَّا التَّحَسُّسُ فَيَكُونُ غَالِبًا فِي الْخَيْرِ كَمَا قَالَ ﷻ إخباراً عن يعقوب أَنَّهُ قَالَ ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾(يوسف: ٨٧)، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ كُلٌّ مِنْهُمَا فِي الشَّرِّ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » وَقَالَ الأَوْزَاعِيُّ: التَّجَسُّسُ الْبَحْثُ عَنِ الشَّيْءِ؛ وَالتَّحَسُّسُ الاسْتِمَاعُ إِلَى حَدِيثِ الْقَوْمِ وهم له كارهون أو يستمع عَلَى أَبْوَابِهِمْ، وَالتَّدَابُرُ: الصَّرْمُ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حاتم عنه ».

(١) قال ابن جرير: « وَلاَ يَقُلْ بَعْضُكُمْ فِي بَعْضٍ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا يَكْرَهُ الْمَقُولُ فِيهِ ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ لَهُ فِي وَجْهِهِ ». عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ »، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ »، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: « إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ »(أخرجه مسلم والترمذي).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: ذَكَرْنَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلاً، فَقُلْنَا: لاَ يَأْكُلُ حَتَّى يُطْعَمَ، وَلاَ يَرْحَلُ حَتَّى يُرْحَلَ لَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: « اغْتَبْتُمُوهُ »، فَقُلْنَا: إِنَّمَا حَدَّثْنَا بِمَا فِيهِ، قَالَ: « حَسْبُكَ إِذَا ذَكَرْتَ أَخَاكَ بِمَا فِيهِ »(شرح السنة، الصحيحة).

وقال ابن كثير: « وَالْغِيبَةُ مُحَرَّمَةٌ بِالإِجْمَاعِ، وَلاَ يُسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ إلا من رَجَحَتْ مَصْلَحَتُهُ، كَمَا فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ وَالنَّصِيحَةِ، كَقَوْلِهِ ﷺ، لَمَّا اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْفَاجِرُ: « ائْذَنُوا لَهُ بِئْسَ أخو العشيرة»(أخرجه البخاري في الأدب) وكقوله ﷺ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رضي الله عنها، وَقَدْ خَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ وَأَبُو الْجَهْمِ: « أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ، وَأَمَّا أَبُو الْجَهْمِ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ »(أخرجه مسلم).

﴿ ... أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ...﴾

﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾؟! **فَاكْرَهُوْا اغْتِيَابَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ**(١)،

---

(١) قال الطبري: « يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ: أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ مَيْتًا، فَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا ذَلِكَ وَكَرِهْتُمُوهُ، لأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ، فَكَذَلِكَ لاَ تُحِبُّوا أَنْ تَغْتَابُوهُ فِي حَيَاتِهِ، فَاكْرَهُوا غَيْبَتَهُ حَيًّا، كَمَا كَرِهْتُمْ لَحْمَهُ مَيْتًا، فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ غَيْبَتَهُ حَيًّا، كَمَا حَرَّمَ أَكْلَ لَحْمِهِ مَيْتًا ». عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَمَّا عَرَجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرَائِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ »(أخرجه أبو داود، صحيح). وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يا مَعْشَرَ من آمَنَ بِلِسَانِهِ ولَمْ يَدْخُلْ الإِيمَانُ قَلْبَهُ لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتْبَعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتْبَعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتْبَعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ »(أخرجه أبو داود، صحيح).
وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: « مَنِ اغْتِيبَ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَنَصَرَهُ، جَزَاهُ اللهُ بِهَا خَيْرًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنِ اغْتِيبَ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ، جَزَاهُ اللهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ شَرًّا، وَمَا الْتَقَمَ أَحَدٌ لُقْمَةً شَرًّا مِنَ اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ، إِنْ قَالَ فِيهِ مَا يَعْلَمُ فَقَدِ اغْتَابَهُ، وَإِنْ قَالَ فِيهِ بِمَا لاَ يَعْلَمُ، فَقَدْ بَهَتَهُ » (أخرجه البخاري في الأدب، صحيح).
وقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: « حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَغْتَابَ الْمُؤْمِنَ بِشَيْءٍ، كَمَا حَرَّمَ الْمَيْتَةَ ».
وقالَ قَتَادَةُ: « كَمَا أَنْتَ كَارِهٌ لَوْ وَجَدْتَ جِيفَةً مُدَوَّدَةً أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا، فَكَذَلِكَ فَاكْرَهْ غَيْبَتَهُ وَهُوَ حَيٌّ ».
وقال مُجَاهِدٌ: « لَمَّا قِيلَ لَهُمْ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ قَالُوا: لاَ، قِيلَ: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أَيْ: فَكَمَا كَرِهْتُمْ هَذَا فَاجْتَنِبُوا ذِكْرَهُ بِالسُّوءِ غَائِبًا »، وقال الزَّجَّاجِ: « تَأْوِيلُهُ: إِنَّ ذِكْرَكَ مَنْ لَمْ يَحْضُرْكَ بسوء بمنزلة أكل لحمه وَهُوَ مَيِّتٌ لاَ يُحِسُّ بِذَلِكَ »(ذكرهما البغوي). وقال السمعاني: «[وجه التشابه بينهما]: أنه إذا أكل لحمه وهو ميت فقد هتك حرمته، وهو لا يشعر به، وإذا ذكره بالسوء بظهر الغيب فقد هتك حرمته، وهو لا يشعر به. وعن عمرو بن العاص ﷺ أنه مر على حمار ميت، فقال: لأن يملأ أحدكم جوفه من هذا اللحم خير له من أن يغتاب أخاه ».

﴿... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيْهِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ﴾ عَلَى مَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، ﴿رَّحِيمٞ﴾ بِهِمْ(1).

قال أبو حيان: « وقال الرماني: كراهية هذا اللحم يدعو إليه الطبع، وكراهية الغيبة يدعو إليها العقل، وهو أحقُّ أن يجاب، لأنه بصير عالم، والطبع أعمى جاهل. وقال أبو زيد السهيلي: ضرب المثل لأخذه العرض بأكل اللحم، لأن اللحم ستر على العظم، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستر. وقال تعالى: ميتا، لأن الميت لا يحس، وكذلك الغائب لا يسمع ما يقول فيه المغتاب، ثم هو في التحريم كآكل لحم الميت. وقال أبو قلابة الرياشي: سمعت أبا عاصم يقول: ما اغتبت أحداً منذ عرفت ما في الغيبة. وقيل: لعمر بن عبيد: لقد وقع فيك فلان حتى رحمناك، قال: إياه فارحموا. وقال رجل للحسن: بلغني أنك تغتابني، قال: لم يبلغ قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي ».

وقد أخرج العلماء أشياء لا يكون لها حكم الغيبة، وتنحصر في ستة أسباب:

الأول: التظلم، إذ من حق المظلوم أن يشكو ظالمه إلى من تتوسم فيه إزالة هذا الظلم.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر بذكره لمن يظن قدرته على إزالته.

الثالث: الاستفتاء، إذ يجوز للمستفتى أن يقول للمفتي: ظلمني فلان بكذا..

الرابع: تحذير المسلمين من الشر، كتجريح الشهود والرواة والمتصدين للإفتاء بغير علم.

الخامس: المجاهرون بالمعاصي وبارتكاب المنكرات، فإنه يجوز ذكرهم بما تجاهروا به.

السادس: التعريف باللقب الذي لا يقصد به الإساءة كالأعمش والأعرج.(الوسيط للسيد طنطاوي).

(1) قال ابن كثير: « ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ أَيْ: فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ فَرَاقِبُوهُ فِي ذَلِكَ وَاخْشَوْا مِنْهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ﴾ عَلَى مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، ﴿رَّحِيمٞ﴾ بِمَنْ رَجَعَ إِلَيْهِ وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ ». وقال: « قَالَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: طَرِيقُ الْمُغْتَابِ لِلنَّاسِ فِي تَوْبَتِهِ أَنْ يقلع عن ذلك ويعزم على أن لا يَعُودَ، ... وَأَنْ يَتَحَلَّلَ مِنَ الَّذِي اغْتَابَهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: لاَ يُشْتَرَطُ أَنْ يَتَحَلَّلَهُ فَإِنَّهُ إِذَا أَعْلَمَهُ بِذَلِكَ رُبَّمَا تَأَذَّى أَشَدَّ

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ...﴾

١٣ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ﴾ **وَاحِدٍ وَهُوَ أَبُوْكُمْ آدَمُ،** ﴿وَأُنثَىٰ﴾ **وَاحِدَةٌ وَهِيَ أُمُّكُمْ حَوَاءُ**(١)**، فَنَسَبُكُمْ وَاحِدٌ، فَلاَ يَفْخَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي النَّسَبِ،**

مِمَّا إِذَا لَمْ يَعْلَمْ بِمَا كَانَ مِنْهُ فَطَرِيقُهُ إِذَا أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ بِمَا فِيهِ فِي الْمَجَالِسِ الَّتِي كَانَ يَذُمُّهُ فِيهَا، وَأَنْ يَرُدَّ عَنْهُ الْغَيْبَةَ بِحَسْبِهِ وَطَاقَتِهِ، فَتَكُونَ تِلْكَ بِتِلْكَ ».

(١) قال الطبري: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا أَنْشَأْنَا خَلْقَكُمْ مِنْ مَاءِ ذَكَرٍ مِنَ الرِّجَالِ، وَمَاءِ أُنْثَى مِنَ النِّسَاءِ ». ونقل عَنْ مُجَاهِدٍ أنَّه قَالَ: « خَلَقَ اللَّهُ الْوَلَدَ مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَمَاءِ الْمَرْأَةِ، وَقَدْ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾، وقوله: « مَا خَلَقَ اللَّهُ الْوَلَدَ إِلاَّ مِنْ نُطْفَةِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ جَمِيعًا، لأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ ... ». الآية.

وقال السمعاني: « أي: آدَمَ وحَوَّاء عليهما السلام ». وقال ابن كثير: « يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا لِلنَّاسِ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَهُمَا آدَمُ وَحَوَّاءُ ». وقال أبو حيان: « أي: من آدم وحواء، أو كل أحد منكم من أب وأم، فكل واحد منكم مساو للآخر في ذلك الوجه، فلا وجه للتفاخر ». وقال السيد طنطاوي: « والمراد بالذكر والأنثى: آدم وحواء. أى: خلقناكم جميعا من أب واحد ومن أم واحدة، فأنتم جميعا تنتسبون إلى أصل واحد، ويجمعكم وعاء واحد، وما دام الأمر كذلك فلا وجه للتفاخر بالأحساب والأنساب ». وقال الآلوسي: « وجُوِّزَ أن يكون المراد هنا: إنا خلقنا كل واحد منكم من أب وأم، ويبعده عدم ظهور ترتّب ذم التفاخر بالنسب عليه، والكلام مساق له ». ومما يدلّ على القول الثاني: ما رواه ابْنُ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمْ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنْ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، النَّاسُ رَجُلَانِ: رَجُلٌ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ ». قَالَ اللَّهُ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ...﴾ الآية (أخرجه الترمذي، صحيح).

﴿ ... وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ ...﴾

﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ ﴾ **وَصَيَّرْنَاكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ ﴿ شُعُوبًا ﴾ كَثِيْرَةً ﴿ وَقَبَآئِلَ ﴾ مُنْتَشِرَةً**[1]؛

---

(١) قال الطبري: « وَجَعَلْنَاكُمْ مُتَنَاسِبِينَ، فَبَعْضُكُمْ يُنَاسِبُ بَعْضًا نَسَبًا بَعِيدًا، وَبَعْضُكُمْ يُنَاسِبُ بَعْضًا نَسَبًا قَرِيبًا؛ فَالْمُنَاسِبُ النَّسَبَ الْبَعِيدَ مَنْ لَمْ يَنْسُبْهُ أَهْلُ الشُّعُوبِ، وَذَلِكَ إِذَا قِيلَ لِلرَّجُلِ مِنَ الْعَرَبِ: مِنْ أَيِّ شِعْبٍ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مِنْ مُضَرَ، أَوْ مِنْ رَبِيعَةَ وَأَمَّا أَهْلُ الْمُنَاسَبَةِ الْقَرِيبَةِ أَهْلُ الْقَبَائِلِ، وَهُمْ كَتَمِيمٍ مِنْ مُضَرَ، وَبَكْرٍ مِنْ رَبِيعَةَ، وَأَقْرَبُ الْقَبَائِلِ الأَفْخَاذُ وَهُمَا: كَشَيْبَانَ مِنْ بَكْرٍ، وَدَارِمٍ مِنْ تَمِيمٍ، وَنَحْوُ ذَلِكَ ». ونقل عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: « الشُّعُوبُ: الْجُمَّاعُ، وَالْقَبَائِلُ: الْبُطُونُ ». وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: « الشُّعُوبُ: الْجَمْهُورُ، وَالْقَبَائِلُ: الأَفْخَاذُ ». وعَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلَهُ: ﴿ شُعُوبًا ﴾ قَالَ: « النَّسَبُ الْبَعِيدُ » ﴿ وَقَبَآئِلَ ﴾ « دُونَ ذَلِكَ ». وعَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: « الشُّعُوبُ: النَّسَبُ الْبَعِيدُ، وَالْقَبَائِلُ كَقَوْلِهِ: فُلاَنٌ مِنْ بَنِي فُلاَنٍ، وَفُلاَنٌ مِنْ بَنِي فُلاَنٍ ».

وقال البغوي: « ﴿ شُعُوبًا ﴾ جَمْعُ شَعْبٍ بِفَتْحِ الشِّينِ، وهي رؤوس الْقَبَائِلِ مِثْلُ: رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ، وَالأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، سُمُّوا شُعُوبًا لِتَشَعُّبِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ، كَشُعَبِ أَغْصَانِ الشَّجَرِ، وَالشَّعْبُ مِنَ الأَضْدَادِ، يُقَالُ: شَعَبَ، أَيْ: جَمَعَ، وشَعَبَ، أي: فَرّق. ﴿ وَقَبَآئِلَ ﴾ هي دُونُ الشُّعُوبِ، وَاحِدَتُهَا قَبِيلَةٌ وَهِيَ كَبَكْرٍ مِنْ رَبِيعَةَ، وَتَمِيمٍ مِنْ مُضَرَ، وَدُونَ الْقَبَائِلِ (الْعَمَائِرُ) وَاحِدَتُهَا: عمارة، بفتح العين هم كَشَيْبَانَ مِنْ بِكْرٍ وَدَارِمٍ مِنْ تَمِيمٍ، وَدُونَ الْعَمَائِرِ (الْبُطُونُ) وَاحِدَتُهَا: بَطْنٌ، وَهُمْ كَبَنِي غَالِبٍ وَلُؤَيٍّ مِنْ قُرَيْشٍ، وَدُونَ الْبُطُونِ (الأَفْخَاذُ) وَاحِدَتُهَا: فَخِذٌ، وَهُمْ كَبَنِي هَاشِمٍ، وَأُمَيَّةَ مِنْ بَنِي لُؤَيٍّ، ثُمَّ (الْفَصَائِلُ، وَالْعَشَائِرُ) وَاحِدَتُهَا: فَصِيلَةٌ، وَعَشِيرَةٌ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْعَشِيرَةِ حَيٌّ يُوصَفُ بِهِ. وَقِيلَ: الشُّعُوبُ مِنَ الْعَجَمِ، وَالْقَبَائِلُ مِنَ الْعَرَبِ، وَالأَسْبَاطُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَقَالَ أَبُو رَوْقٍ: الشعوب من الَّذِينَ لاَ يَعْتَزُّونَ إِلَى أَحَدٍ، بَلْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى، وَالْقَبَائِلُ الْعَرَبُ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ إِلَى آبَائِهِمْ ».

﴿ ... لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ... ﴾

﴿ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ **لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**(١)، **لاَ لِيَفْخَرَ عَلَيْهِ؛ لأَنَّ التَّمَايُزَ لاَ يَكُوْنُ إلاَّ بِالتَّقْوَى**(٢)، **لِذَا قَالَ:** ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾(٣)،

---

(١) قال الطبري: « [أي] إِنَّمَا جَعَلْنَا هَذِهِ الشُّعُوبُ وَالْقَبَائِلُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي قُرْبِ الْقَرَابَةِ مِنْهُ وَبُعْدِهِ، لاَ لِفَضِيلَةٍ لَكُمْ فِي ذَلِكَ، وَقُرْبَةً تُقَرِّبُكُمْ إِلَى اللَّهِ، بَلْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ »، ونقل عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: « جَعَلْنَا هَذَا لِتَعَارَفُوا، فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ مِنْ كَذَا وَكَذَا »، أي: من قبيلة كذا وكذا. وقال ابن كثير: « أَيْ: لِيَحْصُلَ التَّعَارُفُ بَيْنَهُمْ؛ كُلٌّ يَرْجِعُ إِلَى قَبِيلَتِهِ ... وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: كَانَتْ حِمْيَرُ يَنْتَسِبُونَ إِلَى مَخَالِيفِهَا، وَكَانَتْ عَرَبُ الْحِجَازِ يَنْتَسِبُونَ إِلَى قَبَائِلِهَا. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ)(أخرجه الترمذي، الصحيحة) ».

(٢) قال ابن كثير: « فَجَمِيعُ النَّاسِ فِي الشَّرَفِ بِالنِّسْبَةِ الطِّينِيَّةِ إِلَى آدَمَ وحواء عليهما السلام سَوَاءٌ، وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بِالأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَهِيَ طَاعَةُ الله تعالى وَمُتَابَعَةُ رَسُولِهِ ﷺ ».

وقال أبو حيان: « وما زال التفاخر بالأنساب في الجاهلية والإسلام، وبالبلاد، وبالمذاهب، وبالعلوم، وبالصنائع، وأكثره بالأنساب ... ».

(٣) قال الطبري: « [أي] إِنَّ أَكْرَمَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عِنْدَ رَبِّكُمْ، أَشَدُّكُمُ اتِّقَاءً لَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، لاَ أَعْظَمَكُمْ بَيْتًا، وَلاَ أَكْثَرَكُمْ عَشِيرَةً ». وقال الشوكاني: « أي: إن التفاضل بينكم إنما هو بالتقوى، فمن تلبس بها فهو المستحق لأن يكون أكرم ممن لم يتلبس بها وأشرف وأفضل، فدعوا ما أنتم فيه من التفاخر بالأنساب، فإن ذلك لا يوجب كرما ولا يثبت شرفا ولا يقتضي فضلاً ».

وقد ورد في معنى الآية أحاديث صحيحة، منها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ »(أخرجه مسلم).

﴿... إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِأَحْوَالِكُمْ، ﴿خَبِيرٌ﴾ بِمَا تَكُوْنُوْنَ عَلَيْهِ مِنْ كَمَالٍ وَنَقْصٍ، لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ(١).

وعَنْهُ رضي الله عنه أيضاً قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ، قَالَ: « أَتْقَاهُمْ ». قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: « فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ »، قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: « فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا » (أخرجه مسلم).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ خُطْبَةَ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟ »، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: « فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ »(أخرجه أحمد، البيهقي في الكبري، والطبراني في الأوسط، الصحيحة).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: « لاَ أَرَى أَحَدًا يَعْمَلُ بِهَذِهِ الآيَةِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ...﴾ الآية، فَيَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: أَنَا أَكْرَمُ مِنْكَ، فَلَيْسَ أَحَدٌ أَكْرَمَ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِتَقْوَى اللهِ »(أخرجه البخاري في الأدب المفرد، صحيح الأدب).

(١) قال الطبري في معناها: « إِنَّ اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ ذُو عِلْمٍ بِأَتْقَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأَكْرَمِكُمْ عِنْدَهُ، ذُو خِبْرَةٍ بِكُمْ وَبِمَصَالِحِكُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ، لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ».

وقال ابن كثير: « أَيْ: ﴿عَلِيمٌ﴾ بِكُمْ، ﴿خَبِيرٌ﴾ بِأُمُورِكُمْ، فَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُفَضِّلُ مَنْ يَشَاءُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ». وقال الشوكاني: « ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكلِّ مَعْلومٍ، ومن ذلك أعمالكم ﴿خَبِيرٌ﴾ بما تسرون وما تعلنون لا تخفى عليه من ذلك خافية ».

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا... ﴾

١٤ـ ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ أي: **بَعْضُ أَهْلِ البَادِيَةِ**[١] **لَـمَّا قَدِمُوْا عَلَى النَّبيِّ ﷺ**: ﴿ءَامَنَّا﴾ **بِاللهِ وَبِرَسُوْلِهِ**. ﴿قُل﴾ **لَـهُمْ – أَيُّـهَا الرَّسُوْلُ** -: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾: **اسْتَسْلَمْنَا وَانْقَدْنَا**[٢]،

---

(١) مناسبة الآية وسبب نزولها: قال ابن كثير: « يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الأَعْرَابِ الَّذِينَ أَوَّلَ مَا دَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ ادَّعَوْا لأَنْفُسِهِمْ مَقَامَ الإِيمَانِ وَلَمْ يَتَمَكَّنِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ بَعْدُ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ ... ». ونقل ابن جرير عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: « أَعْرَابُ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ ». وقال البغوي: « نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَنَةٍ جَدْبَةٍ فَأَظْهَرُوا الإِسْلَامَ وَلَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ فِي السِّرِّ، فَأَفْسَدُوا طُرُقَ الْمَدِينَةِ بِالْعَذِرَاتِ وَأَغْلَوْا أَسْعَارَهَا وَكَانُوا يَغْدُونَ وَيَرُوحُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَقُولُونَ: أَتَتْكَ الْعَرَبُ بِأَنْفُسِهَا عَلَى ظُهُورِ رَوَاحِلِهَا، وَجِئْنَاكَ بِالأَثْقَالِ وَالْعِيَالِ وَالذَّرَارِيِّ، وَلَمْ نُقَاتِلْكَ كَمَا قَاتَلَكَ بَنُو فُلَانٍ وَبَنُو فُلَانٍ، يُمَنُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَيُرِيدُونَ الصَّدَقَةَ، وَيَقُولُونَ أَعْطِنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الآيَةَ »(قال الهيثمي في المجمع: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالأَوْسَطِ، وَفِيهِ الْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ وَهُوَ ثِقَةٌ وَلَكِنَّهُ مُدَلِّسٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ)(إسناده حسن).

(٢) قال ابن جرير: « وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجَلِهِ قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ الأَعْرَابِ: قُولُوا أَسْلَمْنَا، وَلاَ تَقُولُوا آمَنَّا » على أقوال، أشهرها قولان:

الأول: إِنَّمَا أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، لأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا صَدَّقُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُمْ بِفِعْلِهِمْ، فَقِيلَ لَهُمْ: قُولُوا أَسْلَمْنَا، لأَنَّ الإِسْلاَمَ قَوْلٌ، وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ ». ونقل عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: [في] الآيَةَ: « وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَتَسَمَّوْا بِاسْمِ الْهِجْرَةِ، وَلاَ يَتَسَمَّوْا بِأَسْمَائِهِمُ الَّتِي سَمَّاهُمُ اللَّهُ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْهِجْرَةِ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الْمَوَارِيثُ لَهُمْ ». ونقل عَنِ الزُّهْرِيِّ، أنه قَالَ [في معنى الآية]: « إِنَّ الإِسْلاَمَ الْكَلِمَةُ، وَالإِيمَانُ الْعَمَلُ ».

﴿... وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ...﴾

﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ **بَعْدُ**(١)، **وَيُتَوَقَّعُ لَهُ أَنْ يَدْخُلَهَا،**

وقال البغوي: « فالإسلاَم هُو الدُّخُول إلى السِّلْمِ وَهُوَ الانْقِيَادُ وَالطَّاعَةُ، يُقَالُ: أَسْلَمَ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ فِي السِّلْمِ ... فَمِنَ الإسلام مَا هُو فِي طَاعَةٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِاللِّسَانِ، وَالأَبْدَانِ وَالْجَنَانِ، كَقَوْلِهِ ﷻ لإِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(الْبَقَرَةِ: ١٣١)، وَمِنْهُ مَا هُوَ انْقِيَادٌ بِاللِّسَانِ دُونَ الْقَلْبِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ﴾ ».

قال ابن كثير: « وَقَدِ اسْتُفِيدَ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الإِيمَانَ أَخَصُّ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ». وذكر حديث سَعْدِ بن أَبِي وقاص رضي الله عنه قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَسْمًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِ فُلاَنًا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَوْ مُسْلِمٌ » أَقُولُهَا ثَلاَثًا وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ ثَلاَثًا: « أَوْ مُسْلِمٌ » ثُمَّ قَالَ: « إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ » (أخرجه مسلم). ثمّ قال عقبه: « فَقَدْ فَرَّقَ النَّبِيُّ ﷺ بين المؤمن والمسلم، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الإِيمَانَ أَخَصُّ مِنَ الإِسْلاَمِ ... وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ مُسْلِمًا لَيْسَ مُنَافِقًا لأَنَّهُ تَرَكَهُ مِنَ الْعَطَاءِ، وَوَكَلَهُ إِلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الإِسْلاَمِ ... فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هَؤُلاَءِ الأَعْرَابَ ... لَيْسُوا بِمُنَافِقِينَ وَإِنَّمَا هُمْ مُسْلِمُونَ لَمْ يَسْتَحْكِمِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ، فَادَّعَوْا لأَنْفُسِهِمْ مَقَامًا أَعْلَى مِمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ فَأُدِّبُوا فِي ذَلِكَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عباس وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَقَتَادَةَ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ».

الثاني: « قِيلَ لَهُمْ ذَلِكَ لأَنَّهُمْ مَنُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِإِسْلاَمِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لَهُمْ لَمْ تُؤْمِنُوا، وَلَكِنِ اسْتَسْلَمْتُمْ خَوْفَ السِّبَاءِ وَالْقَتْلِ ». وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: «اسْتَسْلَمْنَا لِخَوْفِ السِّبَاءِ وَالْقَتْلِ ». ونقل ابنُ جَرِيرٍ عن ابْنِ زَيْدٍ، قَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ: ﴿قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ قال: « اسْتَسْلَمْنَا، دَخَلْنَا فِي السَّلَمِ، وَتَرَكْنَا الْمُحَارَبَةَ وَالْقِتَالَ بِقَوْلِهِمْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ».

(١) قال ابن جرير: [أي:] « وَلَمَّا يَدْخُلِ الْعِلْمُ بِشَرَائِعِ الإِيمَانِ، وَحَقَائِقِ مَعَانِيهِ فِي قُلُوبِكُمْ ». وقال السمعاني: « هو دليلٌ على أنَّهم لم يكونوا مصدِّقين في الباطن ». وقال ابن كثير: « أَيْ: لَمْ تَصِلُوْا إِلَى حَقِيْقَةِ الإِيْمَانِ بَعْدُ ».

﴿... وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤﴾

﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ - **أَيُّهَا الأَعْرَابُ - فِي الإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ**[1]، ﴿**لَا يَلِتۡكُمۡ**﴾ **لاَ يَنْقُصْكُمُ اللهُ**[2] ﴿**مِنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ**﴾ **مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ** ﴿**شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ**﴾ **لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ** ﴿**رَّحِيمٞ**﴾ **بِهِمْ**[3].

---

(١) قال ابن جرير: « [أي:] قُلْ لِهَؤُلاَءِ الأَعْرَابِ الْقَائِلِينَ آمَنَّا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ، ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ، فَتَأْتَمِرُوا لأَمْرِهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ، وَتَعْمَلُوا بِمَا فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَتَنْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ». وقال البغوي: « ظَاهِرًا وَبَاطِنًا سِرًّا وَعَلاَنِيَةً ». ونقل عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قوله: [أي: إن] تُخْلِصُوا الإِيمَانَ ». وقال الشوكاني: « طاعةً صحيحةً صادرةً عن نِيَّاتٍ خَالِصَةٍ، وقُلُوبٍ مُصَدِّقَةٍ غَيرِ مُنَافِقَةٍ ».

(٢) قال ابن جرير: « يَقُولُ: لاَ يَظْلِمُكُمْ مِنْ أُجُورِ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا وَلاَ يَنْقُصُكُمْ مِنْ ثَوَابِهَا شَيْئًا ». ونقل عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلَهُ: ﴿لَا يَلِتۡكُمۡ﴾: « لاَ يَنْقُصْكُمْ ». وعَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: « لَنْ يَظْلِمَكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ». وقال ابن كثير: « كقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾(الطُّور: ٢١)».

(٣) قال ابن جرير: « [أي:] إِنَّ اللَّهَ ذُو عَفْو أَيُّهَا الأَعْرَابُ لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَتَابَ إِلَيْهِ مِنْ سَالِفِ ذُنُوبِهِ، فَأَطِيعُوهُ، وَانْتَهُوا إِلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، ﴿رَّحِيمٞ﴾ بِخَلْقِهِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ عَلَى مَا تَابُوا مِنْهُ، فَتُوبُوا إِلَيْهِ يَرْحَمْكُمْ ». ونقل عَنْ قَتَادَةَ، قال: « غَفُورٌ لِلذُّنُوبِ الْكَثِيرَةِ ... رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ ».

وقال ابن كثير: « أَيْ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ ». وقال الشوكاني: « أي: بليغُ المغفرةِ لِمَنْ فَرَطَ مِنْهُ ذَنْبٌ ﴿رَّحِيمٞ﴾ بليغُ الرَّحْمَةِ لَهُمْ ».

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾

١٥ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ **هُمُ** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ أي: **ثُمَّ لَمْ يُخَالِطْ إِيْمَانَهُمْ شَكٌّ**(١)، ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، **لَمْ يَبْخَلُوْا بِشَيْءٍ مِنْهَا**(٢)، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ **الْمُتَّصِفُوْنَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ** ﴿هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ **فِي إِيْمَانِهِمْ**(٣).

---

(١) قال ابن جرير: « يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِلأَعْرَابِ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾، ثُمَّ لَمْ يَشُكُّوا فِي وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَلاَ فِي نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَأَلْزَمَ نَفْسَهُ طَاعَةَ اللَّهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ، وَالْعَمَلَ بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ بِغَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ فِي وجُوبِ ذَلِكَ عَلَيْهِ ». وقال ابن كثير: « أَيْ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الْكُمَّلُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ أَيْ: لَمْ يَشُكُّوا وَلاَ تَزَلْزَلُوا، بَلْ ثَبَتُوا عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ هيَ التَّصْدِيقُ الْمَحْضُ ».

(٢) قال ابن جرير: « يَقُولُ: جَاهَدُوا الْمُشْرِكِينَ بِإِنْفَاقِ أَمْوَالِهِمْ، وَبَذْلِ مُهَجِهِمْ فِي جِهَادِهِمْ، عَلَى مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ جِهَادِهِمْ، وَذَلِكَ سَبِيلُهُ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ». وقال ابن كثير: « أَيْ: وَبَذَلُوا مُهَجَهُمْ وَنَفَائِسَ أَمْوَالِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ ».

(٣) قال ابن جرير: « يَقُولُ: هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ﴿هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّا مُؤْمِنُونَ، لاَ مَنْ دَخَلَ فِي الْمِلَّةِ خَوْفَ السَّيْفِ لِيَحْقِنَ دَمَهُ وَمَالَهُ ». ونقل عن ابْنِ زَيْدٍ، قَالَ: « صَدَّقُوا إِيمَانَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ ». وقال ابن كثير: « ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ أَيْ: فِي قَوْلِهِمْ إِذَا قَالُوا إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، لاَ كَبَعْضِ الأَعْرَابِ الَّذِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الإِيْمَانِ إِلاَّ الْكَلِمَةَ الظَّاهِرَةَ ». وقال أبو حيان: « أي: في قولهم آمنا، حيث طابقت ألسنتهم عقائدهم، وظهرت ثمرةُ ذلك عليهم بالجهاد بالنفس والمال. و﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يشمل جميع الطاعات البدنية والمالية، وليسوا كأعراب بني أسد في قولهم آمنا، وهم كاذبون في ذلك ».

﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦﴾

١٦ـ ﴿قُلۡ﴾ - **أَيُّهَا الرَّسُوْلُ - لِهَؤُلاَءِ الأَعْرَابِ:** ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ﴾، **وَتُشْعِرُوْنَهُ** ﴿بِدِينِكُمۡ﴾[1] ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[2] ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾، **لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَلاَ يَحْتَاجُ إِلَى إِعْلاَمِكُمْ إِيَاهُ بِدِيْنِكُمْ**[3].

---

(١) قال ابن جرير: « [أي:] قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاَءِ الأَعْرَابِ الْقَائِلِينَ آمَنَّا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ ﴿ بِدِينِكُمْ ﴾ يَعْنِي: بِطَاعَتِكُمْ رَبَّكُمْ ». وقال ابن كثير: « أَيْ: أَتُخْبِرُونَهُ بِمَا فِي ضَمَائِرِكُمْ ». وقال أبو حيان: « وفي ذلك تجهيل لهم، حيث ظنوا أن ذلك يخفى على الله تعالى. ثم ذكر إحاطة علمه بما في السموات والأرض ».

(٢) قال ابن جرير: « يَقُولُ: وَاللَّهُ الَّذِي تُعَلِّمُونَهُ أَنَّكُمْ مُؤْمِنُونَ، عَلاَّمُ جَمِيعِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرَضِينَ السَّبْعِ، لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَكَيْفَ تُعَلِّمُونَهُ بِدِينِكُمْ، وَالَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الإِيمَانِ، وَهُوَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، فِي سَمَاءٍ وَلاَ أَرْضٍ، فَيَخْفَى عَلَيْهِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ ».

(٣) قال ابن جرير: « يَقُولُ: وَاللَّهُ بِكُلِّ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَبِمَا يَكُونُ ذُو عِلْمٍ، وَإِنَّمَا هَذَا تَقَدُّمٌ مِنَ اللَّهِ إِلَى هَؤُلاَءِ الأَعْرَابِ بِالنَّهْيِ، عَنْ أَنَ يَكْذِبُوا وَيَقُولُوا غَيْرَ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ فِي دِينِهِمْ، يَقُولُ: اللَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ بِهِ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَقُولُوا خِلاَفَ مَا يَعْلَمُ مِنْ ضَمَائِرِ صُدُورِكُمْ، فَيَنَالُكُمْ عُقُوبَتُهُ، فَإِنَّهُ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ ». وقال ابن كثير: « ».

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٧﴾

١٧ـ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾ -**أَيُّهَا الرَّسُوْلُ**- **هَؤُلاَءِ الأَعْرَابِ** ﴿أَنْ أَسْلَمُواْ﴾ أي: **بِإِسْلاَمِهِمْ**(١)، ﴿قُل﴾ **لَهُمْ**: ﴿لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ أي: **بِدُخُوْلِكُمْ فِي دِيْنِ الله، فَنَفْعُ ذَلِكَ -إِنْ حَصَلَ- عَائِدٌ عَلَيْكُمْ**(٢)، ﴿بَلِ ٱللَّهُ﴾ **هُوَ الَّذِيْ** ﴿يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ **بِأَنْ وَفَّقَكُمْ لِلإِيْمَانِ بِهِ**(٣) ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ **فِي دَعْوَاكُمْ أَنَّكُمْ دَخَلْتُمْ فِيْهِ**(٤).

---

(١) قال ابن جرير: « [أي:] يُمُنَّ عَلَيْكَ هَؤُلَاءِ الأَعْرَابِ يَا مُحَمَّدُ أَنْ أَسْلَمُوا ». ونقل عَنْ قَتَادَةَ، « أَنَّا أَسْلَمْنَا، بِغَيْرِ قِتَالٍ لَمْ نُقَاتِلْكَ كَمَا قَاتَلَكَ بَنُو فُلَانٍ وَبَنُو فُلَانٍ ».

وقال ابن كثير: « يَعْنِي الأَعْرَابُ الَّذِينَ يُمَنُّونَ بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول ﷺ ».

وقال أبو حيان: « المنة: النعمة التي لا يطلب لَها ثواب. ثم يقال: مَنَّ عليه صُنْعَه، إذا اعتدَّ عليه مِنَّةً وإنعاماً، أي: يعتدون عليك أن أسلموا ». وقال الشوكاني: « أي: يَعُدُّون إسلاَمَهم منَّة عليك، حيث قالوا: جئناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ».

(٢) قال ابن كثير: « فَإِنَّ نَفْعَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَعُودُ عَلَيْكُمْ، وَلِلَّهِ الْمِنَّةُ عَلَيْكُمْ فِيهِ ». وقال الشوكاني: « أي: لا تعدوه علي، فإن الإسلام هو المنة التي لا يطلب موليها ثوابا لمن أنعم بها عليه ».

(٣) قال ابن جرير: « أَنْ وَفَّقَكُمْ لِلإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ». وقال الشوكاني: « أي: أرشدكم إليه وأراكم طريقه، سواء وصلتم إلى المطلوب أم لم تصلوا إليه ».

(٤) قال ابن جرير: « فِي قَوْلِكُمْ آمَنَّا، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي مَنَّ عَلَيْكُمْ بِأَنْ هَدَاكُمْ لَهُ ... ».

وقال ابن كثير: « أَيْ فِي دَعْوَاكُمْ ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلأَنْصَارِ يَوْمَ حُنَيْنٍ: (يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي؟ وكنتم عالة فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟) كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ (أخرجه البخاري ومسلم) ».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾

١٨ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، **لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ**(١)، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾، **لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ، وَسَيُجَازِيْكُمْ عَلَى حَسَنِهَا وَسَيِّئِهَا**(٢).

مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ:

- **سُوْءُ الظَّنِّ بِأَهْلِ الخَيْرِ مَعْصِيَةٌ، وَيَجُوْزُ الحَذَرُ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ بِسُوْءِ الظَّنِّ بِهِمْ.**
- **وَحْدَةُ أَصْلِ بَنِي البَشَرِ تَقْتَضِيْ نَبْذَ التَّفَاخُرِ بِالأَنْسَابِ.**
- **الإِيْمَانُ لَيْسَ مُجَرَّدَ نُطْقٍ لاَ يُوَافِقُهُ اعْتِقَادٌ، بَلْ هُوَ اعْتِقَادٌ بِالجَنَانِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ.**
- **هِدَايَةُ التَّوْفِيْقِ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ وَهِيَ فَضْلٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَتْ حَقًّا لِأَحَدٍ.**

---

(١) قال ابن كثير: « ثُمَّ كَرَّرَ الإِخْبَارَ بِعِلْمِهِ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ، وَبَصَرِهِ بِأَعْمَالِ الْمَخْلُوقَاتِ ».
وقال ابن جرير: « [أي:] إِنَّ اللَّهَ أَيُّهَا الأَعْرَابُ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ الصَّادِقُ مِنْكُمْ مِنَ الْكَاذِبِ، وَمَنِ الدَّاخِلُ مِنْكُمْ فِي مِلَّةِ الإِسْلاَمِ رَغْبَةً فِيهِ، وَمَنِ الدَّاخِلُ فِيهِ رَهْبَةً مِنْ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَجُنْدِهِ ... وَيَعْلَمُ مَا غَابَ عَنْكُمْ، فَاسْتَسَرَّ فِي خَبَايَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ».
وقال الشوكاني: « أي: ما غاب فيهما ».

(٢) قال ابن جرير: « يَقُولُ: وَاللَّهُ ذُو بَصَرٍ بِأَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا، أَجَهْرًا تَعْمَلُونَ أَمْ سِرًّا، طَاعَةً تَعْمَلُونَ أَوْ مَعْصِيَةً؟ وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ وَكُفْؤُهُ ».
وقال الشوكاني: « لا يخفي عليه من ذلك شيء، فهو مجازيكم بالخير خيراً وبالشر شراً ».